التعبير العلمي ولغة العلم

للكتور ابراهيم أنيس المدرس

تنبيه

مرجعا أو بحثا علميا في غير تخصصك وأقرأ فيه فقرة أواثنتين ، ثم سل نفسك عمافهمت مما قرأت. فإن كنت لم تفهم بعد ، فارجع البصر إلى الكتاب مرة أخرى وأقرأ ماسبق لك أن قرأت ، لعلك تكون في هذه الكرة أكثر حيظاً منك في سابقتها. ولكنك على الأرجح سوف تدرك قصورك عن فهم المعنى ؛ كله أو بعضه على الأقل .

ذلك أن العبرة هنا ليست بفهم المفردات من أفعال وأسماء ، على نحو ما جاء ذكره في المعجمات اللغوية ، وهي ولله الحمد زاخرة بالشرح والتفصيل ، وذكر أبواب النحو والصرف والمصدر والمشتقات وكذلك الجموع إلى غير ذلك ، مما يكفي الناس في المحادثة والمراسلة ، والتعبير عما يريدون ويشعرون .

إلا أن لغتهم تختلف ، رفعة وضعة وغزارة وقلة ، باختلاف عقولهم وثقافتهم . فالخاصة من أدباء وخطباء وشعراء ، يستخدمون من المفردات والألفاظ أضعاف ماتستخدمه العامة من بسطاء وجهلاء ، ويتميزون عنهم في جزالة العبارة وحسن السبك ، ولذا كانت لغة الخاصة غريبة على العامة ، وإن لم تخرج عما ورد بالمعاجم ، لسانا وقلما .

أما أهل المهنة الواحدة والعلماء ، فإنهم في محيطهم العلمي الزاخر وحياتهم العلمية المتطورة ، كثيراً ما يخرجون اللفظ عن معناه اللغوي الأصيل ، فيستخدمون الفعل مجازا والاسم كناية ، للتعبير عما يدور في فلكهم من أسباب ومسببات ، ويعن في خلدهم من أفكار وتصورات ، وما يجري حولهم من ظواهر وتفاعلات ؛ وما يحتاجون إليه من عدة ووسيلة ، وآلة ونبيطة ، إلى غير ذلك ، من فعل ورد فعل ، وسكون وحركة ، واتزان وابتكار وتشييد ، وكشف جديد ، من أسرار الكون والحياة ، ما شاء الله أن يعرفوا . ومن ثم نشأت لغة العلم وما إليها من رموز وأشكال ومصطلحات وتعبير علمي .

(*) ألقى البحث في الجلسة العاشرة من مؤتمر الدورة التاسعة والأربعين (السبت ٢٠ من جمادى الأولى سنة ١٤٠٣ هـ ، الموافق ٥ من مارس سنة ١٩٨٣ م) .

وهى لغة تشترك مع النثر فى بلاغة المعنى ودقة التعبير ، وتترك له بلاغة المبنى وسحر البيان . إذ أنها لغة المختصر المفيد والسهل الممتنع ، فى وضوح وصراحة ، وأمانة ودقة . كما أنها تشترك مع الشعر فى التناسق والخيال ، وتختلف عنه فى البعد عن المبالغة والغواية ، وفى الاستمساك بالحقيقة وواقع الأمور . ولعل أكبر اختلاف بين لغة الأدب ولغة العلم يتمثل فى أن الأولى أكثر وطنية وقومية وتعلقا بالتراث ، فى حين أن لغة العلم أقرب إلى الدولية والعالمية ، فهى لا تعرف الحدود الجغرافية ، ولا تعترف بالأصول وقدسية القديم ، بل تعيش فى تطور مستمر ، وفقا لما تكشف عنه البحوث من أسرار ، وما تجود به القريحة من تجديد وابتكار . ولذا كانت كنوز الأدب فى إحياء القديم ، وثروة العلم فى الكشف عن الجديد .

وإن شئت فقل إن الأدب غواص يطلب اللآلىء من الأصداف ، أما العلم فبناء يصنع الدر بإذن الله . أو أن الأديب ناسك يقدس خلق الله ، ويعبده بصلاته ونسكه ، أما العالم فيعبد الله بالبحث عن الحقيقة والاختراع ، وإتقان العمل والإبداع مؤمنا بأن إبراز قدرة المخلوق برهان على قدرة الخالق . وما الفرق بين الأديب والعالم . إلا كالفرق بين الصمت وبين الكلام ، أو بين السكون وبين الحركة ، وكل ميسر لما خلق له .

وإنك لترى الأديب فى أدبه سائرا بظهره ، ناظرا إلى الماضى وما قد سلف . وترى العالم فى علمه سائرا بصدره ، متطلعا إلى المستقبل وما سوف يخلف . ولذلك كانت المعاجم اللغوية جامدة ، ترجع فى فحواها إلى ما سبق ، وفى فقهها إلى الأوائل .

أما المعاجم العلمية ففى زيادة مطردة ، تضيف أسماء جديدة لمسميات ومخترعات ، وتقتبس من غيرها من اللغات تعريبا وتوليدا وتزيد من التعبيرات والمصطلحات ، لتفى بالحاجة المتطورة إلى مزيد من الدقة والشرح .

وهى فوق ذلك تستعين بالأشكال إلى جانب الأقوال ، وأبرز ما يكون ذلك فى مجال الهندسة ومحيط المهندسين ، وما إليهم من مهنيين وحرفيين . فالرسم هو اللغة الدولية للهندسة وأهنها والشكل الواحد يغنى عن صفحات من الكلام . كما يستعين المهندس بالرموز ، وفى ذلك إيجاز وإعجاز . ويستخدم الأرقام والأعداد ، فى بيان الأبعاد ، طلبا للتعيين والتحديد فى الكم والمقاس . ولولا كل هذه الوسائل لما أمكن للمهندس أن يعبر . عما يريد فى محيط فكره وعمله . ولو أنه اقتصر على حروف الهجاء والألفاظ ، كما هو الحال فى لغة الأدب ، لأعيته الحيلة ، وسدت أمامه السبل .

ولا يفوتنا ، ونحن فى صدد الكلام عن لغة العلم والتعبير العلمى ، أن نذكر

أننا نستخدم فى واقعنا لغة عامية ، تقرب أو تبعد عن العربية الصحيحة وفقا لثقافة المتحدث ، ودرجة تمكنه من قواعد النحو والصرف والبيان . وهى لغة منطوقة لا مكتوبة ، وتختلف من بلد إلى بلد . ولذا فإننا نركن ما أمكن إلى العربية الصحيحة فى الكتابة بيننا ، وفى التفاهم مع غيرنا من الناطقين بالعربية . وفى ذلك مشقة لا يعرفها أبناء الدول الغربية ، الذين يكادون يتكلمون كما يكتبون بلغة سليمة .

ولاسبيل لنا إلى تخطى هذه العقبة إلا العناية بتدريس العربية فى المدارس ومعاهد التعليم ، والنهوض بما يطبع وينشر ، ويذاع فى الصحافة ووسائل الإعلام ، ولا شك أن انتشار التعليم ورفع مستوى الثقافة كفيلان بالتغلب على هذه الصعوبة حتى تصبح لغة الخطاب هى لغة الكتاب . ثم نرفع هذه اللغة المشتركة بعد ذلك إلى مصاف الفصحى . فيتحد اللسان مع القلم فى البلد الواحد ، ثم فى جميع البلدان الناطقة بالعربية إن شاء الله .

وإلى جانب هذه القضية الأدبية ، تقوم قضية علمية ، تتعلق بالمفردات والمصطلحات وأسلوب التعبير العلمى . فنحن فى نهضتنا أحوج إلى مواكبة الغرب فى علمه الحديث ، لنستقى منه حتى نضاهيه ، ثم بعد ذلك نعطيه . وليس أدل على ذلك من البعثات العلمية ، التى توفد إلى الخارج لتستزيد ، وتتمرس على البحث وتفيد ، ثم تعود ناقلة إلينا الطريف والجديد . ولا جناح علينا فى ذلك ، فهذا ما حدث وما يحدث بين البلاد الغربية ، بل وبين الجامعات والمصانع فى البلد الواحد والبلدان المختلفة . ولكن الصعوبة التى تعترضنا هى نقل هذه المصطلحات إلى اللغة العربية .

وهى صعوبة لا تعن للدول الغربية ، لأنها سايرت موكب العلم الحديث من بدايته ، ولم تتخلف عن ركبه ، وإنما تفاوتت سرعاتها تبعا لتقدم كل منها فى هذا المضمار . وكان من شأن ذلك ، أن دخلت المصطلحات والتعبيرات العلمية تدريجيا فى اللغات الغربية .

وإذا ما أضفنا إلى ذلك أن جميع هذه اللغات ، تمت بصلة إلى اللاتينية ، أدركنا أن صيغة هذه المصطلحات تكاد تتقارب فى جميع تلك البلدان . ذلك أن العلوم جميعا كانت إلى عهد ليس ببعيد تكتب وتدرس باللاتينية فى كل مكان . ثم بدأت حركة الترجمة تباعا فى بلد بعد آخر . ولا تزال آثار اللاتينية باقية فى مواقع كثيرة .

ومهما يكن من أمر ، فإن الأسماء التى أعطيت للعناصر والمواد ، ثم العدد والآلات ، ومن بعد ذلك للمنتجات ،

ترجع إلى اللاتينية وتتركب منها ، ومن أجل ذلك تقاربت التعبيرات العلمية فى اللغات الحديثة لدرجة كبيرة ، حتى إن البعض لم يجد صعوبة فى فهم مصطلحات البعض الآخر ، على اختلاف لغاتهم ، وانحصرت الصعوبة فى فهم اللغة الأجنبية ذاتها ، من حيث قربها أو بعدها عن لغته الأصلية .

ولكن الأمر يختلف عندنا تماما . فلغتنا أصيلة ، ولا تمت إلى اللاتينية بصلة ما ، بل إنها بالنسبة إلى لغات البلدان المتاخمة مورد ومعين ، كما هى حال اللاتينية بالنسبة إلى اللغات الأوروبية.

فهل ننقل مصطلحاتهم العلمية على علاتها ، ونستخدمها كما هى فى تعبيراتنا العلمية ؛ أو أننا نرجع إلى معانيها ، فنترجمها إلى لغتنا ، ونستخدم هذه الترجمة كبديل للمصطلح الأجنبى ؟ لا جرم أن لكل من الطريقتين مالها وما عليها .

فإن كانت الأولى ، فلا شك أن الكلمة الأجنبية ستظل غريبة عن بيئتها الجديدة ، ولو عوملت منا معاملة الكلمة العربية نحواً وصرفا ، من حيث الشكل والاشتقاق. ولكن استخدام هذه الكلمات فى كتبنا العلمية سوف يفتح لنا أبواب المراجع الأجنبيه فى شىء من اليسر . أما إذا كانت الثانية ، فسوف لا يكون هناك نشاز فى كتبنا العلمية العربية ، ولكن ورود المراجع الأجنبية سيصبح صعب المنهل علينا ، أو فى شىء من العسر .

والواقع أن تعريب المصطلح العلمى الأجنبى ، فى وقتنا الحاضر ، قد بدأ بالمجهود الفردى ، على أيدى نفر من أهل العلم والأدب ، لسد حاجة الدارس والباحث على السواء .

ولذلك جاءت هذه المحاولات متباينة لاختلاف الأسلوب والدار . فحمل الشئ الواحد عدة أسماء ، والعمل الواحد جملة تعبيرات ، تستحسن فى مكان ، وتستهجن فى غيره ومنها ما قدر له البقاء ، كما أن منها ما وئد يوم ولد .

وإلى جانب جهود المترجمين والمؤلفين ، انتشر العديد من المصطلحات والتعبيرات بين المهنيين والحرفيين فى تعاملهم مع الجاليات الأجنبية ومع زملائهم من الأجانب المستوطنين .ولاتزال آثار هذه المحاولات المعربة والمحرفة ، باقية إلى الآن متوطدة الأركان ، بين الصانع والتاجر ، وبين المهندس والعامل ، وسارية على ألسنة غيرهم من الناس .

ولقد قام لفيف من الناشرين وبعض الهيئات بجمع هذا الشتات فى معجمات ، كما ضمنها البعض قواميس اللغة ، فى مصر وغيرها من البلدان الناطقة بالعربية . وأصاب بعض هذه الجهود نجاحا وروجا ، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر « معجم

المصطلحات الطبية » للدكتور محمد شرف رحمه الله ، « ومعجم المصطلحات الفنية » الذى تبنت فكرته القوات المسلحة ؛ والذى عكف على إخراجه نخبة من المهندسين ونفر من العلميين ، نذكر منهم الأستاذ مصطفى نظيف رحمه الله .

ثم بدا لنا أن ترك الأمر للجهود المبعثرة ، فيه عبث باللغة وضرر بالعلم لا يحسن السكوت عنها . فعنى مجمع اللغة العربية بقضية التعريب إلى جانب عنايته بشئون اللغة ، وضم إلى عضويته عددا من أهل العلم من المهنيين ، وشكلت منهم ومن أعضائه اللغويين ، مع نفر من الخبراء ، عدة لجان للعلوم المختلفة ، وعهد إليها اختيار المصطلح العلمى الصحيح المقابل الأجنبي فى المعجمات العلمية ، وتعريفه بما يكفى للدلالة عليه ، لعرضه على مجلس المجمع للموافقة ، ثم على المؤتمر السنوى للاعتماد ، ويضم هذا المؤتمر أعضاء المجمع من المصريين ونخبة صالحة من العرب والمستشرقين .

هذا وتسير اللجان حثيثا على نهج قويم ، جادة فى طلب المصطلح العلمى الصالح ، مسترشدة بما يجرى على ألسنة أهل الصنعة ، ومهتدية بما وصل إليها من التراث القديم ، ومستأنسة بما ورد فى المعاجم الحديثة ، وما ألف وترجم ونشر فى الوقت الحاضر ، لتستخلص أحسنه سبكا وأقربه قصدا . فقد يكون العرف لحارى خيرا فتبقى عليه ، إلا أن يكون ركيكا أو ذا عوج لغوى . وقد تجد فى النصوص القديمة مصطلحا وافيا بالغرض ، أو تعبيراً كافيا ، فتبعثه من جديد . أو تلمس فى جهود المحدثين ما أصاب الهدف فتقره وهكذا . فإن لم تجد بين أيديها ما يقابل المصطلح الأجنبى تماما ، ويؤدى معناه ، عمدت إلى التعريب والتوليد ، أو أخذت المصطلح الأجنبى ، كما هو ، إن لم تجد بدا من ذلك ، وألفته شائعا ومستساغا ، وقد حدث ذلك كثيرا فى مثل الكيمياء ووحدات المقاس والمعايرة .

والمجمع جاد فى طبع ما وصلت إليه لجانه ، وأقره مجلسه . ولا شك أن اعتماد المؤتمر السنوى هو من سبيل النشر فى محيط العربية الفسيح ، والاستشراق أيضا . والفيصل الأخير هو أن يشيع المصطلح بين أهل الذكر وأن يعيش بين الناس . ولا سبيل إلى ذلك

إلا باستعماله فى التأليف والترجمة ، وفى المحاضرات والندوات العلمية .

ونحن فى مجمعنا وبيئتنا نؤمن برسالتنا ونجدّ فى السير على الدرب ، ونأمل أن نجد من أهل العلم والمهن تعاونا صادقا وموازرة ، لا فى مصر فحسب ، بل فى محيط العربية الرحب ، ومجامع اللغة فى بلدانها ، والهيئات العاملة على التعريب والترجمة والتأليف فيها .

ونسأل الله تعالى العون والمثوبة ، حتى نجمع الشمل على لغة فصيحة واحدة ، لسانا وقلما ، وندرس العلم بمصطلح موحد فنُسدِل الستار على الخليط السائد الآن من العربية العامية والمصطلح الأجنبى .

والله من وراء القصد ، وهو ولى التوفيق .

والحمد لله رب العالمين

ابراهيم الدمرداش
عضـــو المجمع